والاستفهام إنكاري أي هم لم يهتدوا بدلائل النظر والاستدلال التي جاءهم بها القرآن فأعرضوا عنها ولا اتعظوا بمصارع الأمم الذين كذبوا أنبياءهم وفي مهلكهم آيات تزجر أمثالهم عن السلوك فيما سلكوه .

فضمير (لهم) عائد إلى المجرمين أو إلى من ذكر بآيات ربه . و (يهد) من الهداية وهي الدلالة والإرشاد يقال : هداه إلى كذا .

وضمن فعل (يهد) معنى يبين فعدي باللام فأفاد هداية واضحة بينة . وقد تقدم نظيره في قوله تعالى (أو لم يهد للذين يرثون الأرض) في سورة الأعراف . واختير فعل الهداية في هذه الآية لإرادة الدلالة الجامعة للمشاهدة ولسماع أخبار تلك الأمم تمهيدا لقوله في آخرها (أفلا يسمعون) ولأن كثرة ذلك المستفادة من (كم) الخبرية إنما تحصل بترتيب الاستدلال في تواتر الأخبار ولا تحصل دفعة كما تحصل دلالة المشاهدات .

وفاعل (يهد) ما دلت عليه (كم) الخبرية من معنى الكثرة : ولا يجوز عند الجمهور جعل (كم) فاعل (يهد) لأن (كم) الخبرية اسم له الصدارة في الاستعمال إذ أصله استفهام فتوسع فيه .

ويجوز جعل (كم) فاعلا عند من لم يشترطوا أن تكون (كم) الخبرية في صدر الكلام . وجوز في الكشاف أن يكون الفاعل جملة (كم أهلكنا) على معنى الحكاية لهذا القول كما يقال : تعصم (لا إله إلا ا) الدماء والأموال أي هذه الكلمة أي النطق بها لتقلد الإسلام .

ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الجلالة دالا عليه المقام أي ألم يهد ا لهم فإن ا بين لهم ذلك وذكرهم بمصارع المكذبين وتكون جملة (كم أهلكنا) على هذا استئنافا وتقدم (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) في أول الأنعام .

ونيط الاستدلال هنا بالكثرة التي أفادتها (كم) الخبرية لأن تكرر حدوث القرون وزوالها أقوى دلالة من مشاهدة آثار أمة واحدة .

على يمرون أنهم : والمعنى (يروا لم أو) فاعل من حال (مساكنهم في يمشون) و A E المواضع التي فيها بقايا مساكنهم مثل حجر ثمود وديار مدين فتعضد مشاهدة مساكنهم الأخبار الواردة عن استئصالهم وهي دلائل إمكان البعث كما قال تعالى (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) ودلائل ما يحيق بالمكذبين للرسل ؛ وفي كل أمة وموطن دلائل كثيرة متماثلة أو متخالفة .

ولما كان الذي يؤثر من أخبار تلك الأمم وتقلبات أحوالها وزوال قوتها ورفاهيتها أشد

دلالة وموعظة للمشركين فرع عليه (أفلا يسمعون) استفهاما تقريريا مشوبا بتوبيخ لأن اجتلاب المضارع وهو (يسمعون) مؤذن بأن استماع أخبار تلك الأمم متكرر متجدد فيكون التوبيخ على الإقرار المستفهم عنه أوقع بخلاف ما بعده من قوله (أفلا يبصرون) . وقد شاع توجيه الاستفهام التقريري إلى المنفي وتقدم عند قوله تعالى (ألم يأتكم رسل منكم) في سورة الأنعام وقوله (ألم يروا أنه لا يكلمهم) في سورة الأعراف .

(أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون [27]) عطف على (أو لم يهد لهم) . ونيط الاستدلال هنا بالرؤية لأن إحياء الأرض بعد موتها ثم إخراج النبت منها دلالة مشاهدة . واختير المضارع في قوله (نسوق) لاستحضار الصورة العجيبة الدالة على القدرة الباهرة .

والسوق : إزجاء الماشي من ورائه .

والماء : ماء المزن وسوقه إلى الأرض هو سوق السحاب الحاملة إياه بالرياح التي تنقل السحاب من جو إلى جو ؛ فشبهت هيئة الرياح والسحاب بهيئة السائق للدابة . والتعريف في (الأرض) تعريف الجنس .

والجرز : اسم للأرض التي انقطع نبتها وهو مشتق من الجرز وهو : انقطاع النبت والحشيش إما بسبب يبس الأرض أو بالرعي والجرز : القطع . وسمي السيف القاطع جرازا قال الراجز يصف أسنان ناقة : .

تنحي على الشوك جرازا مقضبا ... والهرم تذريه إذدراء عجبا